مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

حالة الناس بعد شهر رمضان

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

حالة النَّاس بعد شهر رمضان(١)

الحمد لله مصرف الشُّهور، ومقدر المقدور، يُولج اللَّيل في النَّهار ويولج النَّهار في اللَّيل، وهو عليم بذات الصدور، جعل لكل أجل كتابًا، ولكلِّ عمل حسابًا، وجعل الدُّنيا مزرعة للآخرة، وسوقًا يتزود منه العباد، فيا سعادة من أحسن اختيار الزَّاد، ويا شقاوة من ضيَّع نفسه، ونسي يوم المعاد، أحمد ربِّي على نعمه الظَّاهرة والباطنة، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله له الخلق والأمر وإليه المصير يوم الحشر، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، كلّ حياته جهاد وعمل، فما زال يعبد ربَّه حتَّى حضره الأجل ﷺ وعلى آله وأصحابه الَّذين كل دهرهم رمضان. فما كان دخوله يزيد من اجتهادهم، وما كان خروجه ينقص منه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

فأيُّها النَّاس: اتقوا الله، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] **عبادَ الله،** كنتم في شهر الخير والبركة تصومون نهاره، وتقومون من ليله، وتتقرَّبون إلى ربِّكم بأنواع القربات طمعًا في ثوابه وخوفًا من عقابه.

ثُمَّ انتهت تلك الأيام، وقطعتم بها مرحلة من حياتكم لن تعود إليكم، وإنَّما يبقى لكم ما أودعتموه فيها من خير أو شر، وهكذا كلّ أيام العمر مراحل تقطعونها يومًا بعد يوم في طريقكم إلى الدار الآخرة.

فهي تنقص من أعماركم، وتقربكم من آجالكم، ويحفظ عليكم ما عملتموه فيها لتجازوا عليه في الدار الباقية: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] حلَّ عليكم شهر رمضان لترجعوا إلى ربِّكم بالتَّوبة والأعمال الصَّالحة، وتتربوا على فعل الطَّاعات وترك المحرمات، وتتلقوا دروس الصَّبر، وتنتصروا على النُّفوس الأمارة بالسُّوء، فما تنقضي أيام هذا الشَّهر المبارك إلَّا وقد ألفتم الطَّاعة، وكرهتم المعصية، وتربيتم على الأخلاق الفاضلة فتيقظتم بعد غفلة، وحضرتم بعد طول غياب، وعرفتم قدر الحياة وقيمة العبادة.

(١) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للمؤلف (١/ ٧٥ -٧٨).

عبادَ الله، والآن انقضى شهر رمضان فلا ترجعوا بعده إلى المعاصي فإنَّ ربَّ الشُّهور واحد، ولا تهدموا ما بنيتم فيه من صالح الأعمال، فإنَّ من علامة قبول الحسنة إتباعها بالحسنة، وإنَّ الرجوع إلى المعاصي بعد التَّوبة منها أعظم جرمًا وأشد إثمًا مما كان قبل ذلك، وإن أمامكم ميزانًا توزن فيه حسناتكم وسيئاتكم: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣] والشُّهور مزرعة الأعمال، ومواقيت للآجال.

عبادَ الله، إن انقضى موسم رمضان فبين أيديكم موسم يتكرر في اليوم واللَّيلة خمس مرات، وهو الصَّلوات الخمس الَّتي فرضها الله على عباده تدعون لحضورها في المسجد، لتقفوا بين يدي مولاكم وتدعوه وتستغفروه، وتسألوه من فضله: ف﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف: ٣١ - ٣٢].

وبين أيديكم موسم يتكرر كلّ أسبوع، وهو صلاة الجمعة ويوم الجمعة الَّذي اختص الله به هذه الأمة: «فِيهِ سَاعَةَ الإِجَابَةِ الَّتِي لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهْوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ الله تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(٢)، وبين أيديكم مواسم في جوف اللَّيل وفي وقت الأسحار، وخزائن رَبّكم «مَلْآَ لَا تُغِيضُهَا نَفَقَةٌ، وَيَدُهُ سَحَّاء اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»(٣)، فإنَّه لا غنى بكم عنه طرفة عين في أي: لحظة من اللَّحظات فليست حاجتكم إليه في رمضان فقط؟ فما بال أقوام يقبلون في رمضان على الطَّاعة، فإذا انسلخ تنكروا وتغيَّرت أحوالهم؟!.

لقد سئل بعض السَّلف عن مثل هؤلاء، فقال: بأس القوم لا يعرفون الله إلَّا في رمضان، لقد كانت تمتلئ المساجد بهؤلاء في الصَّلوات الخمس وعندما انسلخ رمضان اختفوا وانمحت آثارهم إلى المساجد وقبعوا في بيوتهم. كأنهم استغنوا عن الله، أو كأن الواجبات سقطت عنهم والمحرمات أبيحت لهم خارج رمضان نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى ومن العمى بعد البصيرة، ومن الكفر بعد الإيمان قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[محمد: ٣٣].

---

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة برقم (٩٣٥) ومسلم برقم (٨٥٢).

(٣) ورد ما يدل على هذا المعنى في حديث أبي هريرة أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) ومسلم برقم (٩٩٣).

فكما أنَّ الحسنات يذهبن السَّيئات، فكذلك السَّيئات تقضي على الحسنات، وقد قيل: ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها، بكى بعض السَّلف عند الموت، فسئل عن ذلك، فقال: أبكي عن ليلة ما قمتها، وعلى يوم ما صمته، فإذا كان الإنسان سيندم عند الموت على ترك النوافل، فما بالكم بندامة من ضيَّع الفرائض.

إنَّ شهر رمضان يجب أن يودع بالاستغفار، وطلب القبول، فقد كان السَّلف الصَّالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، فإذا بلغهم إيَّاه، وعملوا فيه عملًا صالحًا دعوا الله ستة أشهر أن يتقبله منهم، فكل زمانهم رمضان، وكثيرٌ من أهل هذا الزمان يودعونه ويتبعونه بالمعاصي، وترك الواجبات، وفعل المحرمات، إنَّ الله يأمرنا أن نختم شهر رمضان بالتَّكبير وشكر الله على تمام النِّعمة حيث يقول سبحانه: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[البقرة: ١٨٥] والرَّسول ﷺ يحثنا على أن نتبعه بصيام ستة أيام من شهر شوال، فروى مسلم من حديث عَن أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِن شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»(٤)، وإنَّما كان صيام رمضان، وإتباعه ستًّا من شوال يعدل صيام الدَّهر؛ لأنَّ الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان عن عشرة أشهر، وستة أيام من شوال عن شهرين، وفي معاودة الصِّيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أنَّ صيام هذه الستة بعد رمضان كصلاة النَّافلة بعد الفريضة، يكمل بذلك ما حصل في صيام رمضان من خلل ونقص، فإنَّ الفرائض تجبر أو تكمل بالنَّوافل يوم القيامة، وأكثر النَّاس يقع في صيامه للفرض خلل ونقص، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من صيام النفل.

ومنها: أنَّ معاودة الصِّيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده، كما قال بعضهم: ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، كما أنَّ من عمل حسنة، ثُمَّ أتبعها بسيئة كان ذلك علامة على ردِّ الحسنة الَّتي عملها وعدم قبولها.

---

(٤) أخرجه برقم (١١١٦).

ومنها: أنَّ صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدَّم من الذُّنوب، فيكون معاودة الصِّيام بعد الفطر شكرًا لهذه النِّعمة، فمن جملة شكر العبد لربِّه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرته لذنوبه أن يصوم له شكرًا عقب ذلك.

ومنها: أنَّ العودة إلى الصِّيام بعد الفطر على رغبته في الصِّيام، وأنَّه لم يمله ولم يستثقله.

عبادَ الله، إنَّ مقابلة نعمة التَّوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعد خروجه من تبديل نعمة الله كفرًا، فمن عزم على معاودة المعاصي بعد رمضان فصيامه عليه مردود، وباب الرحمة في وجهه مسدود، إن هذه الشُّهور والأعوام واللَّيالي والأيام كلّها مقادير الآجال، ومواقيت الأعمال، ثُمَّ تنقضي سريعًا، وتمضي جميعًا، والَّذي أوجدها وابتدعها، وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول، ودائم لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيبٌ ومشاهدٌ.

فاتقوه، ودوموا على طاعته واجتناب معصيته، فإنَّ كل وقت يخليه العبد من طاعته فقد خسره، وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر ربِّه تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

عبادَ الله، إنَّ فضل الله عليكم متواصل ومواسم المغفرة لا تزال متتالية لمن وفقه الله لاغتنامها، فإنَّه لما انقضى شهر رمضان دخلت أشهر الحج إلى بيت الله الحرام.

فكما أنَّ من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه، فكذلك من حج البيت «**فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٥)، فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من السَّاعات، إلَّا ولله فيها عليه، وظيفة من وظائف الطَّاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه.

فاشكروا الله على هذه النِّعم، واغتنموها بطاعة الله ولا تضيعوها بالغفلة والإعراض، أعوذُ بالله من الشَّيطان الرَّجيم ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا

(٥) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة برقم (١٥٢١).

فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[الزمر: ٥٤ – ٥٩].

واعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديٌّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد، وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثْمَانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابِعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشِّرك والمشركين، ودمر أعداء الدِّين، واجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين، يا ربّ العالمين، اللَّهُمَّ بارك لنا في شهر رمضان، اللَّهُمَّ أرزقنا فيه القوة، والاحتساب، العمل الصَّالح، اللَّهُمَّ أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ ارزقنا من فضائله ومغانمه ما يسرته لنا، اللَّهُمَّ أعنَّا على صيامه وقيامه وحفظ أيامه من الخلل والضياع: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٢]، اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا واجعلهم هداة مهدين غير ضالين ولا مضلين، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السُّوء والمفسدين يا رب العالمين.

عبادَ الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[النحل:٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].



